سلسلة الدروس (١٨)

١٤٤٨هـ

شرح

رياض الصالحين

تأليف

الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي

٦٣١ - ٦٧٦هـ

الشيخة

أم عبد الله بنت الشيخ مقبل بن هادي الوادعي

حفظها الله تعالى

دار الوادعية

بسم الله الرحمن الرحيم

❐ أسئلة وأجوبة الدرس (١٣) ❐

١. إذا اقترن التقوى بالصبر فماذا يكون المعنى؟

فعل المأمور، وترك المحظور، والصبر على المقدور. كما قال ابن القيم.

٢. في كم موضع تكرر الصبر في القرآن؟

في ستة عشر نوعًا كما قال ابن القيم أيضًا.

٣. في قوله تَعَالَى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ ما البأساء والبأس؟

البأساء: الفقر، والبأس: القتال.

٤. في قوله تَعَالَى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ النهي عن من اتصف بهذه الصفات فما هي؟

من اتصف بالغفلة، واتباع الهوى، ومن كان امره فرطا أي: ضياعًا.

٥. هل الأحسن العفو والصفح عن المسيء؟

الأحسن أن يعفو ويصفح عنه، ولكن إذا كان العفو عنه يجرِّئُه على التمادي في الظلم، فإنه لا يُعفى عنه؛ حتى لا يعان على الظلم ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

٦. قوله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟﴾ هل فيه فرق بين الصبر والمصابرة؟

الصبر عام، أما المصابرة: فالمصابرة على العدو، ومقاومتهم في جميع الأحوال.

٧. ما هي المرابطة؟

هو لزوم المحل الذي يخاف من وصول العدو منه، وأن يراقبوا أعداءهم، ويمنعوهم من الوصول إلى مقاصدهم.

٨. بأي شيء تنال الإمامة في الدين؟

بالصبر واليقين. قال تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤].

٩. ما هو الفلاح؟

الفلاح: نيل المطلوب والسلامة من المرهوب. كما قال ابن كثير.

١٠. ما هو التقوى؟

أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية بفعل الأوامر وترك النواهي.

١١. ما معنى لعل في كلام الله ﷻ؟

في كلام الله ﷻ للتعليل مجردة عن معنى الترجي؛ فإنها إنما يقارنها معنى الترجي إذا كانت من المخلوق.

١٢. لأي شيء تأتي لعل؟

للترجي، والتعليل، للإشفاق.

١٣. ما معنى {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ}؟

الابتلاء: الاختبار.

١٤. قوله تَعَالَى: ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ عطف الثمرات على الأموال من أي باب؟

من باب عطف الخاص على العام.

١٥. البدء بالخوف قبل الجوع يدل على أي شيء؟

يدل على أن الخوف أشد من الجوع.

١٦. هل أجر الصبر جاء محدودًا بعدد؟

لا، قال تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾.

١٧. قوله تَعَالَى: {عَزْمِ الْأُمُورِ} جاءت هذه الآية في ثلاثة مواضع وفي موضع واحد منها جاءت باللام؟

بزيادة اللام في سورة الشورى وحدها، وفي سورة آل عمران، وفي سورة لقمان بدون اللام.

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس (١٤)

قال أَبُو زَكَرِيَّا يَحيَى بنُ شَرَفٍ النَّوَوِيُّ رحمه الله:

١/٢٥-وعن أبي مَالِكٍ الْحَارِثِ بْنِ عَاصِمٍ الأشْعريِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ للَّه تَمْلأُ الْميزانَ، وسُبْحَانَ الله والحَمْدُ للَّه تَمْلآنِ أَوْ تَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمواتِ وَالأَرْضِ، وَالصَّلاَةِ نورٌ، والصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، والْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فمُعْتِقُها، أَوْ مُوبِقُهَا» رواه مسلم.

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «الطُّهُورُ» بضم الطاء، وهو الفعل، وأما بفتحها (الطَّهور) فهو الماء المعد للطهارة.

قال ابن رجب رحمه الله في «جامع العلوم والحكم»(٢/٦٣١): فَسَّرَ بَعْضُهُمُ الطُّهُورَ هَاهُنَا: بِتَرْكِ الذُّنُوبِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝٨٢﴾[الأعراف: ٨٢]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ [المدثر: ٤]، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ۝٢٢٢﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ثم قال: وَالصَّحِيحُ الَّذِي عَلَيْهِ الْأَكْثَرُونَ: أَنَّ الْمُرَادَ بِالطُّهُورِ هَاهُنَا: التَّطْهِيرُ بِالْمَاءِ مِنَ الْأَحْدَاثِ، وَكَذَلِكَ بَدَأَ مُسْلِمٌ بِتَخْرِيجِهِ فِي أَبْوَابِ الْوُضُوءِ، وَكَذَلِكَ خَرَّجَهُ النَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ وَغَيْرُهُمَا. اهـ.

وظاهره أنه يشمل الطهارة:

من الذنوب والعقائد الشركية.

من الأحداث والنجاسات.

قال الشيخ ابن عثيمين في «شرح رياض الصالحين»(١/٨٨): وهذا هو الطهور؛ أن يتطهر الإنسان طهارة حسية ومعنوية من كل ما فيه أذى؛ فلهذا جعله النبي ﷺ شطر الإيمان. اهـ.

وقوله: «شَطْرُ الإِيمَانِ» الشطر النصف.

ولكن هذا ليس بلازم؛ ولهذا قال والدي رحمه الله كما في دروسه الصوتية لـ «صحيح مسلم» -أول حديث في كتاب الطهارة-: شطر الشيء بعضه، قد يكون نصفه أو أقل أو أكثر.

قال الطيبي رحمه الله في «شرح مشكاة المصابيح»(٣/٧٣٩): قيل معنى «شَطْرُ الإِيمَانِ»: أن الأجر في الوضوء ينتهي إلى نصف أجر الإيمان.

وقيل: إن الإيمان يجب ما قبله من الخطايا، وكذلك الوضوء، إلا أن الوضوء لا يصح إلا مع الإيمان، فصار لتوقفه عليه في معنى الشطر.

وقيل: المراد بالإيمان الصلاة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٤٣]، والطهارة شرط في صحتها، فصارت كالشطر، وليس بلازم في الشطر أن يكون نصفًا حقيقيًّا.

ويحتمل أن يقال: الإيمان تصديق بالقلب، وانقياد بالظاهر، وهما شطران، والطهارة انقياد

في الظاهر. اهـ.

من ضمن الأقوال هنا: أن الطهور نصف الإيمان على ظاهر اللفظ.

ومنها تفسير الإيمان في الحديث هذا بالصلاة، كقوله تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ أي: صلاتكم، ولأن الطهارة شرط في صحة الصلاة فصارت كالشطر.

ثم تكلم الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «شرح المشكاة»(٣/ ٧٤١) على بيان تقرير كون الطهور شعبة من الإيمان، وذكر وجوهًا في ذلك، فقال:

أحدها: أنه صلوات الله عليه جعل نقصان الدين في قوله للنساء: «أليست إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ قلن: بلي! قال: فذلك من نقصان دينها»، فكل مانع يمنع المكلف من الطاعة هو موجب نقصان دينه، وما يرفع المانع لا يبعد أن يعد من الدين. اهـ.

(وما يرفع المانع) أي: المانع من نقصان الدين.

إذن فالطهارة من الحدث من أسباب زيادة الإيمان؛ ولهذا المرأة ينقص إيمانها نقصًا ضروريًّا لا اختياريًّا عند أيام حيضها؛ لأنها لا تتطهر ولا تصلي ولا تصوم.

ثم قال: وثانيها: أن طهارة الظاهر أمارة لطهارة الباطن؛ لأن الظاهر عنوان الباطن، فكما أن طهارة الظاهر ترفع الخبث والحدث من الظاهر-ليستعد للشروع في العبادات-كذلك طهارة الباطن-وهي التوبة-تفتح باب السلوك للسائرين إلى الله تعالى؛ ومن ثم جمعهما في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وقيَّد كل واحد منهما بمحبة مستقلة. اهـ.

(لأن الظاهر عنوان الباطن) فطهارة الظاهر من الحدث دليل على طهارة الباطن، وهي طهارة القلب.

ثم قال: وثالثها: أنه قد اشتهر أن من أراد الوفود إلى العظماء يتحرى بتطهير ظاهره من الدنس والأوضار، ولبس الثياب النقية الفاخرة، فوافد مالك الملك ذي العزة والجبروت أولى وأحرى بذلك، ومن ثم شرعت نظافة البدن والثوب، والتطيب في أيام الأعياد والجمعات، قال الله سبحانه وتعالي لحبيبه صلوات الله عليه: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر: ٣-٥]. اهـ المراد.

وقوله: «وَالْحَمْدُ للَّه تَمْلأَ الْميزانَ» أي: تملأ ميزان أعمال صاحبها.

وقوله: «تَمْلآنِ أَوْ تَمْلأ» (أو) شك من الراوي.

قال ابن رجب رحمه الله في «جامع العلوم والحكم»(٢/٦٣٩): فَأَمَّا الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَاتَّفَقَتِ الْأَحَادِيثُ كُلُّهَا عَلَى أَنَّهُ يَمْلَأُ الْمِيزَانَ. اهـ.

والتسبيح: نفي النقائص عن الله.

والحمد: إثبات جميع المحامد لله، فاجتمع في هذا نفي وإثبات.

وقوله: «وَالصَّلَاةِ نورٌ» قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في «شرح الأربعين النووية»(٢٢٢): أي: صلاة الفريضة والنافلة نور، نور في القلب، ونور في الوجه، ونور في القبر، ونور في الحشر؛ لأن الحديث مطلق، وجرّب تجد. اهـ.

وهذا يدل على أن نور الصلاة ينقسم إلى قسمين:

معنوي، وهو نور في القلب، فالصلاة يستنير بها قلبه ويهتدي، ومن نورها أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، كما قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ونور حسي، فالذي يصلي يكون على وجهه نور وبهاء وجمال، ونور له أيضًا في قبره، وفي آخرته، قال تَعَالَى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد: ١٢]، وعلى الصراط حينما توزع الأنوار وتقسم للناس على حسب أعمالهم، ثم يطفأ بعد ذلك نور المنافقين كما في سورة الحديد: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾ [الحديد: ١٣-١٤].

والنور الله ﷻ هو الذي يعطيه، فهو رزق من الله سُبحَانَهُ ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور: ٤٠].

إذن عرفنا أن من أسباب جمال الوجه ومنظره الصلاة النافلة والفريضة، ومنه صلاة الليل، بخلاف الذي لا يصلي يكون وجهه مظلمًا، وعليه قترة.

وقوله: «والصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ» الصدقة: إعطاء المال للمحتاج.

برهان قال ابن رجب رحمه الله في «جامع العلوم والحكم»: وَالْبُرْهَانُ: هُوَ الشُّعَاعُ الَّذِي يَلِي وَجْهَ الشَّمْسِ. اهـ.

والمراد هنا: أن الصدقة برهان على إيمان صاحبها؛ لأنه ما أخرجها من يده إلا لإيمانه، فإن النفوس شحيحة بما في أيديها قال الله تَعَالَى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ﴾ [النساء: ١٢٨]، وينبغي للمتصدق أن ينتبه فيخرج عطاءه وصدقته بنفس طيبة لا مدفوعة، ويخرجها من قلبه قبل أن يخرجها من يده فلا تكون نفسه معلقة بها؛ لأن هذا يمنع كمال الأجر، والله عز وجل قال في وصف المنافقين: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [التوبة: ٥٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فَإِنَّ الصَّدَقَةَ مِنْ جِنْسِ الْقِتَالِ، فَالْجَبَانُ يَرْجُفُ، وَالشُّجَاعُ يَثْبُتُ. «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٩٥).

وفي «الأمثال»: فَإِنَّ ثَوَابَ الْإِنْفَاقِ يَتَفَاوَتُ بِحَسَبِ مَا يَقُومُ بِالْقَلْبِ مِنْ الْإِيمَانِ وَالْإِخْلَاصِ وَالتَّثْبُتِ عِنْدَ النَّفَقَةِ، وَهُوَ إخْرَاجُ الْمَالِ بِقَلْبٍ ثَابِتٍ قَدْ انْشَرَحَ صَدْرُهُ بِإِخْرَاجِهِ، وَسَمَحَتْ بِهِ نَفْسُهُ وَخَرَجَ مِنْ قَلْبِهِ قبل خُرُوجِهِ مِنْ يَدِهِ، فَهُوَ ثَابِتُ الْقَلْبِ عِنْدَ إخْرَاجِهِ، غَيْرُ جَزِعٍ وَلَا هَلِعٍ، وَلَا مُتْبِعِهِ نَفْسَهُ تَرْجُفُ يَدُهُ وَفُؤَادُهُ.

وقوله: «وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ» سبق لنا تعريف الصبر.

وذكر هنا في الصبر أنه ضياء، وفي الصلاة نور «وَالصَّلَاةِ نورٌ»؛ لأن الصبر فيه نوع ألم وإحراق للقلب؛ لهذا الله عز وجل ذكر في وصف الشمس ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً

﴿وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥]؛ لأن الشمس فيها حرارة، والقمر نور؛ فلهذا جاء هنا في الصبر بأنه ضياء.

فالصبر لا شك على المقدورات المؤلمة، على العبادة، كل هذا يحتاج إلى تحمل المتاعب والآلام.

قال القرطبي رحمه الله في «المفهم»(٣/١٠٣): الصَّبر على العبادات والمشاق والمصائب، والصبر عن المخالفات، والمنهيات، كاتباع هوى النفس والشهوات وغير ذلك، فمن كان صابرًا في تلك الأحوال، متثبتًا فيها، مقابلًا لكُلِّ حالٍ بما يليق به ضاءت له عواقب أحواله، ووضحت له مصالح أعماله، فظفر بمطلوبه، وحصل له من الثواب على مرغوبه، كما قيل:

فَقَل من جدَّ في أمر تطلبه ...واستعمل الصبر إلا فاز بالظفر. اهـ.

وقال النووي رحمه الله في شرح هذا الحديث من «شرح صحيح مسلم»(٣/١٠١): فَمَعْنَاهُ: الصَّبْرُ الْمَحْبُوبُ فِي الشَّرْعِ، وَهُوَ الصَّبْرُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالصَّبْرُ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَالصَّبْرُ أَيْضًا عَلَى النَّائِبَاتِ وَأَنْوَاعِ الْمَكَارِهِ فِي الدُّنْيَا، وَالْمُرَادُ: أَنَّ الصَّبْرَ مَحْمُودٌ وَلَا يَزَالُ صَاحِبُهُ مُسْتَضِيئًا مُهْتَدِيًا مُسْتَمِرًّا عَلَى الصَّوَابِ. اهـ.

وهذا من فضائل الصبر، يقول: (وَلَا يَزَالُ صَاحِبُهُ مُسْتَضِيئًا) على نور. (مُهْتَدِيًا مُسْتَمِرًّا عَلَى الصَّوَابِ) وهذا من ثمار الصبر أنه ضياء يستضاء به، ومن أسباب البصيرة والثبات عند الملمات والنائبات وفي جميع الأحوال، ولكنه بصبره يرتقي إلى طريق السعداء، ويفوز بأعلى الجنان، كما قال ربنا عز وجل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا

تَحِيَّةَ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾﴾ [الفرقان: ٧٥]، وقال تَعَالَى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان: ١٢]، وقال سُبحَانَهُ: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤]، وقال تَعَالَى: ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المؤمنون: ١١١].

قال ابن القيم رحمه الله في «عدة الصابرين»(١٣): فخير عيش أدركه السعداء بصبرهم، وترقوا إلى أعلى المنازل بشكرهم، فساروا بين جناحي الصبر والشكر إلى جنات النعيم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. اهـ.

وقوله: «كُلُّ النَّاس يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فمُعْتِقُها، أَوْ مُوبِقُهَا» أورد الطيبي رحمه الله سؤالًا في «شرح مشكاة المصابيح»(٣/٧٤٣)، وقال: ما وجه اتصال هذه الجملة بما قبلها؟ قلت: هي استئنافية على تقدير سؤال سائل، قد تبين من هذا التقرير الرشد من الغي، فما حال الناس بعد ذلك؟ فأجيب: كل الناس يغدو إلى آخره. اهـ.

ومعنى الجملة المستأنفة: هي الجملة المنقطعة عما قبلها، وهذا من حيث الإعراب لا من حيث المعنى.

من فوائد هذا الحديث:

الإيمان بالميزان.

أن الأعمال توزن.

فضل التسبيح والتحميد، وكما روى مسلم (٢١٣٧) عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، قَالَ: قَالَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ. لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ»

وعن أبي سَلْمَى رَاعِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَخٍ بَخٍ بِخَمْسٍ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ، لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَالْوَلَدُ الصالح يُتوفى للمرء فيحتسبه». رواه ابن أبي عاصم في «السنة»(٧٨١)، وهو في «الصحيح المسند» (١٢٢٩) لوالدي رحمه الله.

وفيه: فضل هذه الأعمال السبعة: الطهارة، وكما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فضل الجمع بين التسبيح والتحميد، فضل الصلاة، الصدقة، الصبر، العمل بالقرآن وأنه يكون شاهدًا لصاحبه إن عمل به، وإلا كان شاهدًا عليه، زكاة النفس، فهذه سبعة أعمال صالحات، ومن شعب الإيمان.

وفيه: محاسبة النفس على تحقيق هذه الأعمال والحرص عليها.

أن الناس في السعي على قسمين: منهم من يسعى في هلاكه، ومنهم من يسعى في نجاته، وكما قال ﷻ: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ٤-١٠]، وقال تَعَالَى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء:

١٨-١٩].

هذا من باب واحد أن الإنسان لا يقف، فهو إما ساع في هلاك نفسه بالمعاصي، أو في نجاته بطاعة ربه.

وفيه: أن المعاصي رِق، وهي طاعة للشيطان، وابن القيم رحمه الله في «النونية»:

هربوا من الرق الذي خلقوا له... فبلو برق النفس والشيطان